Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في هذا الجزء من اللوحة يعطي المتنبي لمعارك سيف الدولة أكبر قسط من الإيحاء الثري الغني ... الكر والفر والتحام الفرسان وركض الخيل . وعبور الأنهار . واجتياز السدود ، والهول والفزع والغبار وجو الموت الذي يصاحب معارك الجيوش الكبيرة في اصطدامها والتحامها .

ولا أريد أن أقف طويلاً عند جو المعارك التي وصفها أبو الطيب في هذا المشهد الطويل الممتد ، فما أكثر الكتب والدراسات التي تناولت شعر الحرب عند المتنبي ، ولكن لا بد من الإشارة إلى الحيوية والتدفق والتجسيد الفني العميق لجو المعارك ، فهو يستخدم كل طاقاته التعبيرية والتصويرية في رسم مشاهد الحرب ويربط في هذا التصوير بين المكان والكائنات والأشياء ويمزج كل هذا بالجو النفسي للمعارك . وهناك شعراء كثيرون يملكون كل هذه الطاقات التي يملكها المتنبي في التعبير والتصوير . ولكن يظل شعر أبي الطيب متفرداً بتلك الخاصية ، المنبعثة عن جاذبيته الشخصية ، والتي أطلقت عليها (الإشعاع الفني) وهو يدرك بالتذوق المثقف . وتأمل معي وصفه للخيل المحاربة التي تشترك في المعارك المتواصلة ، ولا تستقر في مكان ، تقبل في آخر الليل وتتحرك للركض قبل الظهر ، وقد براها الركض والطواف المتواصل :

وخيل براها الركض في كل بلدة إذا عرست فيها فليس تقيل

وتأمل قوله :

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا وما علموا أن السهام خيول
شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحته وصهيل

أو قوله :

سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل

هذه الأبيات كلها في وصف الخيل وهي دائمة الركض ، أو وهي تتحرك إلى المعارك وكأنها العقارب رافعة أذنابها لأنها تحمل الرماح . أو وهي تثير الغبار وتقذف بالأبطال الذين يستخدمون السيوف والرماح ويمطرون الأعداء بالهول والموت .

وأحياناً يصورها وهي تخوض بحراً من الدماء بين الأطلال والجماجم والقتلى ودخان النيران المشتعلة في المواضع التي تعبرها الجيوش :

فخاضت نجيع الجمع خوضاً كأنه بكل نجيع لم تخضه كفيل